الباب الأول

المعجمية العربية في إطار الوحي
(تلاوة/ وفهما/ واستنباطا)

الفصل الأول
في معجمية التلاوة

أولا
من ملامح العناية بالتلاوة
التأليف في معاجم مصطلحات التجويد
(صوتيات القرآن الكريم)
أهدافها وخصائصها ومصادرها

مدخل:

من الحقائق المستقرة بين الدارسين في الشرق والغرب القول بنشأة علم الصوتيات عند العرب بسبب من خدمة الكتاب العزيز؛ ذلك أن الله تعالى كلف المؤمنين بحياطة كتابه من الوجوه كلها.

ولقد كان الأمر بتلاوته من أول ما أمر الله سبحانه في غير موضع، وبصيغ وأفعال مختلفة، جاء منها بصيغة الأمر العام: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ﴾ [سورة الكهف ٢٩/١٨]. وقد جاء الأمر بترتيله في قوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلاً﴾ [سورة المزمل ٤/٧٣]. وقد جاء الأمر بقراءته في قوله تعالى: ﴿فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ [سورة المزمل ٢٠/٧٣]، وربما أمكن أن نفهم في بعض ما توحي به هذه الأوامر التي جاءت في الذكر الحكيم التأني في القراءة، وإحسان أداء القرآن الكريم، ووهو المفهوم الذي استقر بأخرة بما هو تعريف لمصطلح التجويد؛ يقول القرطبي في تفسير (الجامع لأحكام القرآن) [طبعة الهيئة العامة المصرية للكتاب، بالقاهرة سنة ١٩٨٧م، (٣٧/١٩)]: "ورتل القرآن ترتيلا؛

أي: لا تعجل بقراءة القرآن، بل اقرأه في مهل وبيان.. والترتيل: التنضيد والتنسيق وحسن النظام.. وسمع علقمة رجلا يقرأ قراءة حسنة؛ فقال: "لقد رتل القرآن".

وقد كان من بعض آثار هذه العناية بترتيله وتلاوته وحسن قراءته على الوجه المبين- نشأة علم التجويد، الذي هو في بعض تعاريفه إعطاء كل حرف (صوت) حقه، ومستحقه، وهو الأمر الذي تطور وترقى بالمعرفة بالصوتيات في الحضارة العربية الإسلامية.

وقد كان من آثار هذا التطور والترقي في ميدان العلم بالصوتيات بسبب من خدمة أداء الذكر الحكيم، وتلاوته، وترتيله- ظهور جهاز اصطلاحي متميز يعنى بضبط مفاهيم المعرفة الصوتية عند العرب، انعكست آثاره وتجلياته في أشكال متنوعة.

(١) الوعي بطبيعة العلاقة بين المعرفة الصوتية العربية وخدمة قضية ترتيل القرآن الكريم.

وقد كان الوعي بطبيعة العلاقة التي حكمت المعرفة الصوتية في التراث العربي بخدمة قضية ترتيل الذكر الحكيم واضحة تماما في ميدان التأريخ للدرس الصوتي، ودراساته، وهو الأمر الذي أصاب تواترا فاشيا بين الدارسين في الشرق والغرب على السواء، يقول الدكتور غانم قدوري الحمد في دراسته الرائدة (الدراسات الصوتية عند علماء التجويد) [طبعة وزارة الأوقاف العراقية، بغداد ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م، (ص٧١)]: "وأول تلك العلوم التي ترتبط بعلم التجويد هو علم القراءات كلاهما يهتمان بنطق ألفاظ القرآن الكريم، وقد ميز علماء التجويد بشكل واضح بين العلمين من حيث المنهج ومن حيث الموضوع، أما المنهج فقد نصوا على أن كتب القراءات تعتمد على الرواية، وأن كتب التجويد تعتمد على الدراية المبنية على المشافهة ورياضة الألسن، وأما الموضوع فكتب القراءات تعنى برواية وجوه القراءات في نطق "كلمات القرآن"، بينما كتب التجويد تعنى بكيفية أداء الألفاظ بإخراج الحروف من مخارجها وإعطائها حقها من صفاتها"، وهذه العلاقة الواضحة بين التجويد والنص العزيز مما تواتر بيانه في كتب القوم الأقدمين.

وفي العصر الحديث كذلك اتضح أمر هذه العلاقة عند المستشرقين الذين درسوا جانبا من عناية العرب في ميدان المعرفة الصوتية، على ما يظهر مثلا في تعليق المستشرق الألمانى أرتور شاده في مقالته عن (علم الأصوات عند سيبويه؛ وعندنا) [طبعة الدكتور صبيح التميمي، صنعاء ١٤٢٠هـ= ٢٠٠٠م، (ص ٣٠)]: "و إذا سأل سائل: ما هو الباعث الذي حث العرب على أصوات العربية وعلى إنشاء قواعد نطقها؟ أجبته: يظهر أن الباعث كان القرآن الشريف، فإن العجم الذين أسلموا في القرنين الأولين من قرون الإسلام كان يهمهم للغاية أن يحسنوا قراءة المصحف الشريف، وينطقوا أصواته نطقا عربيا خالصا، ولم يروا إلى ذلك سبيلا إلا بعد تعميق المطالعة لأصوات اللغة العربية وإحكام إنتاجها، فيظهر أن حدوث علم الأصوات عند العرب مقرون بنشوء علم التجويد".

من مجموع هذين النقلين يظهر أن ظهور علم صوتيات القرآن الكريم (= الذي هو علم التجويد) يعد مفخرة من مفاخر التقدم العلمي عند العرب بسبب ظاهر ومباشر من إرادة خدمة أداء القرآن الكريم.

(٢) مصادر مصطلحات علم صوتيات القرآن الكريم.

وقد تنوعت مصادر معرفة مصطلحات علم صوتيات الكتاب الكريم، الذي هو في بعض تصوراته علم صوتيات العربية إجمالا، حتى استقلت في صورة معاجم معاصرة تفرغت لخدمة المصطلح الصوتي العربي، وتقريبه للقارئ المعاصر من دون إخلال بطبيعته العلمية.

وبالإمكان أن نقرر أن عددا كبيرا من المصادر كان قد اعتنى بالمصطلحات الصوتية والتجويدية قبل استقلالها في معجمات مختصة بها في العصور الأخيرة، وهو ما يمكن إجماله في ما يلي:

أولا- مؤلفات النحو العربي الموسعة:

ذلك أن أول ظهور في كتب النحو للعناية بالجهاز الاصطلاحي لعلم الصوتيات تمثل في جهود سيبويه تعيينا في كتابه الأشهر، وهو الأمر الذي نقله عنه من خَلَفَه من النحاة العرب، من أمثال: الزمخشري في المفصل (ت ٥٣٨هـ). وفي هذا السياق يمكن اعتبار ما

فصَّلَه ابن جنى (ت ٣٩٥ هـ) في سر صناعة الإعراب من قبيل عناية الأدبيات النحوية بالمعنى الواسع بمعلومات الصوتيات العربية.

وربما أمكن إلحاق بعض المؤلفات البلاغية بما أوردته من عناية بالمعلومات الصوتية التي تتعلق ببيان بعض مباحثها، من مثل علاقة المخارج الصوتية بتحرير مفاهيم من مثل مفهوم الفصاحة في اللفظ، على ما نرى أمثلة لها في (سر الفصاحة) لابن سنان الخفاجي (ت ٤٤٦هـ)، وفي (مفتاح العلوم) للسكاكي (ت ٦٢٦هـ).

والحق قاض بأن نقرر أن أفكار سيبويه الصوتية التي هيمنت على كل من جاء بعده من علماء الصوتيات العربية– كانت تطويرا لأفكار أستاذه الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) التي قدّم بها بين يدي معجمه العين، بما هي واحدة من مكونات منهج بناء هذا المعجم.

ثانيا- مصنفات القراءات:

ذلك أن العلاقة بين علمي الصوتيات القرآنية الذي سُمي باسم علم التجويد، وعلم القراءات واضحة تماما، ويمثلان معا الوجه الأمثل للأداء القرآني من طريقين؛ أولاهما: طريق الرواية عن مقام النبوة الكريم أصالة وابتداءً، وهو ما اضطلع به علم القراءات، وآخرهما: طريق الدراية ودربة اللسان، وهو ما كان مشغلة التجويد والتجويديين خلال التاريخ.

وقد ظهرت العناية ببعض المعرفة الصوتية في كثير من أدبيات علم القراءات بسبب من مناقشة مذاهب القراء المختلفة حول عدد من الظواهر الصوتية؛ كالإدغام، وأحوال نطق أصوات المد واللين، والموقف من نطق بعض الأصوات في المتواليات النطقية، ولا سيما ما يتعلق بنطق صوت الهمزة. وأنت واجد أمثلة كثيرة على عناية أدبيات القراءات بالمعرفة الصوتية، منها ما يلي:

أ- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، لمكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ) [انظر المواضع التالية :١/ ٥٥؛ ٦٧؛ ٧٨، وغيرها].

ب- الاستكمال لبيان جميع ما يأتي في كتاب الله عز وجل من مذاهب القراء السبعة في التفخيم والإمالة، لابن غلبون (ت ٣٨٩هـ)، والعناية بالمصطلح الصوتي ظاهرة من عنوان الكتاب الذي حمل اثنين من مصطلحية الصوتيات القرآنية والعربية؛ وهما: التفخيم والإمالة [انظر: ٣٤٥].

ج- حجة القراءات، لأبي زرعة بن زنجلة (ت ق ٤هـ) [انظر: ١٦٧؛ ٢٧٦؛ ٢٩٠؛ ٤٣٧، وغيرها].

ثالثا- مصنفات التجويد:

ولعل أهم قائمة يمكن أن تعد مصدرا للعناية بمصطلحية صوتيات العربية عموما، وصوتيات الكتاب الكريم خصوصا – هي قائمة مصنفات علم التجويد، بما هو علم يسعى إلى تحقيق إحسان قراءة الذكر الحكيم، وإتقان تلاوته جملة وتفصيلا.

وهذه المصنفات- وإن تأخر ظهورها مقارنة بغيرها مما سبق ذكره- كاشفة عن جهود مكثفة متواصلة ممتدة منذ زمن التنزيل الكريم جاءت فجمعت مفرداتها، ونظمت متفرقها، بما واكب ذلك الجمع والتنظيم من اختراع جهاز اصطلاحي خادم لهذا العلم، ومن أشهر ما صدر محققا من هذه القائمة ما يلي:

أ- كتاب التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي، للسعيدي (ت٤٠٠هـ).

ب- اختلاف القراء في اللام والنون، للسعيدى أيضا (ت ٤٠٠هـ).

ج- تجويد القراءة ومخارج الحروف، لابن وثيق الأندلسي (ت ٦٤٥هـ).

د- التمهيد في علم التجويد، لابن الجزري (ت ٨٣٣هـ).

هـ- الطرازات المعلمة في شرح المقدمة، للأزهري (ت ٨٧٠هـ).

و- جهد المقل، لساجقلي زاده (ت ١١٥٠هـ).

وثمة عدد آخر من مصنفات التجويد المتأخرة، اتسمت بالإيجاز والغموض في كثير من الأحيان على ما يقرره الكريم الدكتور غانم قدوري الحمد في دراساته المهمة في هذا

الميدان، وهذا العدد الآخر يأتي في مرتبة تالية لما تقدم من أمثلة كتب التجويد بسبب من هذا الإيجاز والغموض لا غير.

رابعا- مصنفات صوتيات اللغة:

وربما لا يقل أهمية عن القائمة المذكورة في الفقرة السابقة في ميدان خدمة المصطلح التجويدي ما يمكن التقاطه من قائمة ما ظهر عند العرب للعناية بأصوات العربية؛ ذلك أن هذا النوع من المصنفات تمثل مصدرا مهما من مصادر مصطلحية صوتيات العربية، وصوتيات القرآن الكريم بما توافر فيها من حديث عن مخارج أصوات العربية، وصفاتها، وطرق نظقها في أحيان أخرى، ومن أشهر ما وصل إلينا من هذه المصنفات الصوتية ما يلي :

أ- مخارج الحروف وصفاتها، لابن الطحان الإشبيلي (ت ٥٦٠هـ).

ب- الدر المرصوف في وصف مخارج الحروف، لأبي المعالي الموصلي (ت ٦٢١هـ).

خامسا- مؤلفات علماء اللغة المعاصرين في مجال الدراسات الصوتية والتجويدية:

وهذه القائمة- وهي طويلة- تمثل مصدرا مهما جدا في هذا الباب لأكثر من سبب؛ ذلك أنها تحاول تقريب هذه المفاهيم التجويدية التراثية للقارئ المعاصر، وتقدير حجم الإنجاز المعرفي الذي حققته مقارنة بما أنجزه العلم الحديث في الميدان نفسه، وفيما يلي أهم الدراسات المعاصرة في هذا الميدان:

أ- (١٤٠٦هـ= ١٩٨٦م) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، للدكتور غانم قدوري الحمد.

ب- (١٤١٠هـ=١٩٩٠م) عن علم التجويد القرآني في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة، للدكتور عبد العزيز علام.

ج- (١٩٩٢م) فونولوجيا العربية والمصطلحات الصوتية عند علماء التجويد، للدكتور مصطفى التوني.

د- (١٩٩٤م) آليات النطق عند علماء التجويد، للدكتور مصطفى التوني.

هـ- (١٤٢٣هـ=٢٠٠٢م) المدخل إلى علم أصوات العربية، للدكتور غانم قدوري الحمد، وقد أقامه على تقدير منجز علم التجويد لدراسة الصوتيات العربية.

ومن الحق أن نقرر أن ثمة دراسات كثيرة جدا عرفها الدرس المعاصر في هذا الباب شرقا وغربا، وهو ما تواترت عنه العناية بجزئيات فرعية صغيرة تواتر ظهورها في الدوريات اللسانية، وفي مؤلفات قصيرة توجهت نحو درس عدد من الظواهر التجويدية والصوتية، وحولها ظهرت العناية بمجموعة كبيرة من مصطلحات صوتيات العربية وصوتيات القرآن معا، وهو الأمر الذي يمكن معه تقدير أمثال الجهود التالية:

أ- أرنور شاده في (علم الأصوات عند سيبويه وعندنا).

ب- جان كانتينو في (دروس في علم أصوات العربية).

ج- هنري فليش في (العربية الفصحى).

هذا بالإضافة إلى ما ظهر في كتابات الرواد من اللغويين العرب المعاصرين حول صوتيات اللغة، وإن لم يظهر فيها اعتماد على مصادر التجويدية، من أمثال: إبراهيم أنيس، وعبد الرحمن أيوب، وسعد مصلوح، وكمال بشر، ورمضان عبد التواب، ومحمود السعران، وأحمد مختار عمر، وعبد الصبور شاهين، وغانم قدوري الحمد، وغيرهم. ولا شك أن ثمة مصادر أخر من أمثال معاجم المصطلحات المتعددة العلوم، ومؤلفات البيان العربي في باب ما يلزم الخطيب تحصيله، والمؤلفات المعاصرة في علم الإلقاء، وغيرها.

(٣) مجمل مظاهر العناية بمصطلحية الصوتيات القرآنية.

وقارئ هذه المصادر المختلفة لمصطلحية أصوات العربية والقرآن يلمح عناية ظاهرة بعدد من المظاهر يمكن إجمالها في ما يلي:

أ- جمع المصطلحات الصوتية الخاصة بصوتيات اللغة وصوتيات القرآن الكريم.

ب- تصنيف المصطلحات في مجموعات منتظمة في إطار موضوعي، ومعرفي؛ بمعنى جمع مصطلحات المخارج في إطار تصنيفي متميز من مصطلحات الصفات والسمات، وتصنيف مجموعة مصطلحات المخرج (الشدة، والرخاوة، والمزج، والميوعة، والتوسط)

في إطار تصنيفي متميز من مصطلحات حالة مؤخرة اللسان مع سقف الحنك (التفخيم والترقيق)، وغير ذلك من التصنيفات النوعية المختلفة.

ج- تحرير المصطلحات الصوتية؛ بمعنى ضبط ألفاظها، وتعريفها، وبيان حدودها وتحليل هذه التعريفات.

(٤) الجهود المعاصرة في خدمة مصطلحات الصوتيات العربية والقرآنية (معاجم الصوتيات اللغوية والقرآنية المعاصرة).

ومع توافر ما ذكرناه من مصادر العناية بالجهاز الاصطلاحي الراعي للصوتيات القرآنية واللغوية على ما ظهر في الفقرات الخمس السابقة؛ فإن ثمة وجها أكثر رونقا ظهر في العصر الحديث للعناية بمصطلحية الصوتيات اللغوية والقرآنية، تمثلت في عدد مما يمكن أن يعد معاجم لمصطلحات الصوتيات العربية، منها ما يلي:

١- المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء في ضوء علم اللغة المعاصر، للدكتور عبد القادر مرعي الخليل، طبعة جامعة مؤتة، ١٤١٣هـ= ١٩٩٣م.

٢- المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، للدكتور عبد العزيز الصيغ، طبعة دار الفكر المعاصر، بيروت، ودار الفكر، دمشق، ١٤٢١هـ=٢٠٠٠م.

٣- معجم الصوتيات، للدكتور رشيد عبد الرحمن العبيدي، طبعة ديوان الوقف السني، العراق، ١٤٢٨هـ=٢٠٠٧م.

صحيح أن ما ورد هنا الآن مما حمل عنوان (المصطلح الصوتي) هما في أصلهما دراستان علميتان، ولم يصمما على أنهما معجمان، ولكنهما صالحان لأن يعدا معجمين معاصرين لصوتيات اللغة عموما، والقرآن خصوصا.

وقد رتب الدكتور عبد القادر مرعي معجمه ترتيبا موضوعيا تصنيفيا، بمعنى أنه صنع معجمه في صورة أبواب، جاء الأول لمصطلحات جهاز النطق ومخارج الأصوات، والثاني لمصطلحات جهاز السمع، والثالث لمصطلحات صفات الأصوات، والرابع لمصطلحات وظائف الأصوات.

وقريب من هذه المنهجية رتب الدكتور الصيغ كتابه، فصنع الفصل الأول لمصطلحات الجهاز الصوتي، أعضاءه ومخارجه، والفصل الثاني لصفات الأصوات، والثالث لمصطلحات النطقيات (الفونولوجيا).

وقد فاتهما معا صنع فهرس ألفبائي لمجموع ما حرراه وناقشاه وحللاه من مصطلحات صوتية، وقد كان ذلك جديرا بالتيسير على من أراد استعمال ما كتباه.

أما الدكتور رشيد عبد الرحمن العبيدي، رحمه الله، فقد صمم كتابه ابتداء على ما ظهر من عنوانه في صورة معجم، وهو ما حمله على أن يرتب ما أورده من مصطلحات صوتية وتجويدية على وفاق الترتيب الألفبائي النهائي (أ ب ت ث ج ح...) تيسيرا على المستعملين، وهو المنهجية التي شاعت واطردت منذ زمن بعيد قديم في الصناعة المعجمية العربية حتى فشت، وكادت تلغي غيرها من المنهجيات الترتيبية في العصر الحديث، مضافا إليه عدم تجريد الألفاظ، وإنما ترتيبها ألفبائيا وفق أشكالها المستعملة فعلا من دون تجريد أو رد للأصول.

وقد حرصت هذه المحاولات جميعا ولا سيما معجم الصوتيات على بيان ما يلي:

أ- المعنى اللغوي للفظ قبل الخوض في بيان معناه الاصطلاحي في علم التجويد أو الأصوات.

ب- المعنى الاصطلاحي الوارد في كتب القدماء من علماء الأصوات والتجويد العرب المسلمين.

ج- إضافة ما يراه المعاصرون من علماء اللغة والأصوات.

د- تقريب التعريفات والشروح بشكل يجعلها واضحة دون الإخلال بدقتها وانضبطها العلمي.

هـ- الإشارة إلى المجموعات الصوتية التي تندرج تحت مفهوم معين.

ومن أمثلة ذلك (مصطلح الشديدة)؛ حيث نرى الدكتور عبد القادر مرعي والدكتور الصيغ يوردانه تحت مصطلح موضوعي جامع هو صفات الأصوات، ثم يقرران أنه- على ما يعرفه القدماء- الصوت الذي يمنع الصوت أن يجري فيه، وهو تعريف سيبويه

الذي هيمن على كل من جاء بعده فنقلوه عنه، ثم يتطرق الدارسان الكريمان فيقرران أن المعاصرين يعرفونه بأنه الصوت الذي ينتج من صب الهواء الخارج من الرئتين حبسا تاما في موضع ما، ثم ينتج عن هذا الحبس انطلاق فجائي للهواء محدثا صوتا انفجاريا. ثم ينطلقان بعدها ليقررا الأصوات الشديدة قديما لتكون (أ، ج، د، ت، ط، ب، ق، ك)، وأما في الصوتيات المعاصرة فيضيفون الضاد ويحذفون من القائمة القديمة (الجيم)، وهو الأمر الذي نجده كذلك في معجم الصوتيات للعبيدي في باب الشين.

(٥) وظائف معاجم الصوتيات العربية.

وقد عكست هذه العناية بمصطحية الصوتيات القرآنية والعربية عددا من الوظائف بدت ظاهرة تماما في خلفية وجودها، يمكن إجمالها في ما يلي:

أ- **الوظيفة الدينية التعبدية؛** ذلك أن الله تعالى أمر المؤمنين بترتيل كتابه على ما مر، ومن هنا ظهرت المصطلحات توصلا إلى تيسير الترتيل على الوجه المأثور.

ب- **الوظيفة العلمية المعرفية اللسانية؛** وهو ما تجلى في تعريف المصطلحات وتحريرها، وفك التداخلات بين بعض منها توصلا إلى ضبط كل مصطلح على حدة، وهو ما يؤكد تقدم المعرفة اللغوية الاصطلاحية في الحركة العلمية العربية التراثية.

ج- **الوظيفة التعليمية؛** ذلك أن هذا العلم أساسه التدريب والممارسة، وهو أمر كفيل بضرورة العناية بالجهاز الاصطلاحي تقريبا لمفاهيمه، وسعيا نحو تحديدها.

د- **الوظيفة التاريخية؛** وهو الأمر الذي كان مقصوده بيان التطور الذي أصاب خدمة هذه المصطلحات خلال التاريخ العلمي في رحلة عنايته بعلم التجويد.

هـ- الوظيفة الحضارية؛ وهي الوظيفة التي تعني إبراز المنجز العلمي الذي قدمه المسلمون بفضل خدمة الكتاب الكريم لحركة العلم الإنساني.

وليس من شك في أن هذه العناية بجمع مصطلحات صوتيات القرآن خاصة، والعربية عموما يعد شكلا من أشكال العناية بأداء كتاب الله العزيز؛ ليتقرر مع مرور الزمن الأثر الجبار الذي أحدثه الكتاب الكريم في ترقية الحضارة العربية، والإسهام في تقدم المعرفة الإنسانية.

ثانيا
معاجم مصطلحات القراءات المعاصرة
وقيمها الحضارية

(مدخل) لا حدود للنور.

لقد استقر يقينا ومن أصرح طريق النظر إلى الذكر الحكيم على أنه نور، بكل ما تعنيه هذه المفردات من دلالات، وهو المعنى المصرح به في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [سورة النساء ٤/ ١٧٤]، ويعلق الماوردي في النكت والعيون [١/ ٤٥٤ طبعة دار الصفوة، القاهرة سنة ١٩٩٣م] فيقول: "يعني القرآن، سمي نورا، لأنه يظهر به الحق، كما تظهر المرئيات بالنور".

وفحص السمات الدلالية لهذه الكلمة يقود إلى إدراك قيمة ما يحققه ذلك الكتاب العزيز من إضاءة لدروب الحياة، وتمكن من التبصر في مسالكها حتى وصل إلى أن يفهم من الكمال المطلق، وهو ما يقرره نفيد كرماني في كتابه المهم : بلاغة النور : جماليات النص القرآني [ص٤٨٤ منشورات الجمل، بغداد وبيروت، سنة ٢٠٠٨ م] فيقول: إن "القرآن هو العمل الفني المطلق لكافة الحضارات الإسلامية"، وربما فسرت هذه الجملة المحورية التي تقرر حقيقة الكتاب العزيز حجم الحراك والمنجز المعرفي الجبار الذي خرج للحياة بسبب من إرادة خدمة وتيسير الكتاب.

(١) علم القراءات : مفهومه وغايته ومقاصده.

يعرف هذا العلم بأنه: "علم بكيفية النطق بألفاظ القرآن، اتفاقا واختلافا مع عزو كلّ لناقله"، ومن هذا التعريف الذي أورده الدكتور عبد العلي المسئول في معجم مصطلحات علم القراءات [ص ٥٠٨/٢٥٦] نكتشف غايته الجليلة المتمثلة في ضبط أداء الذكر الحكيم ونطقه، مع استصحاب التنوعات وإسنادها.

وهذا العلم بهذا المفهوم وبهذه الغاية يهدف إلى تحقيق عدد من المقاصد الجليلة يمكن إيجازها في النقاط التالية :

أ- إقامة تكليف شرعي أمر به الشارع سبحانه في كثير من آيات القرآن الكريم عندما أمر بقراءته وتلاوته وترتيله، يقول تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلاً﴾ [سورة المزمل ٤/٧٣]، ويقول جل وعز : ﴿فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ [سورة المزمل ٢٠/٧٣].

ب- الإعانة على تيسير تلاوته للناس ببيان الكيفية، واستيعاب طرقها.

ج- الإسهام في فهمه وتدبره؛ إذ إن حسن قراءته سبيل لازمة إلى حسن فهمه.

د- تحقيق حفظ الدين بحفظ أصله صحيحا منضبطا متمثلا في ضبط الذكر الحكيم.

هـ- الإسهام في ترقية العقل المسلم بترقية بعض العلوم الشرعية لازمة التحصيل.

و- رفع الحرج ودفع المشقة بالقيام بواجب ضبط كيفية الكتاب العزيز.

ز- صيانة أداء الذكر الحكيم من أي صورة من صور تطرق الخطأ إليه.

(٢) مصطلحية القراءات القرآنية : مقال في حدود المصادر.

وقد استكمل هذا العلم الشريف جهاوزه الاصطلاحي أو مجموعة مصطلحاته منذ فترة مبكرة في تاريخ العلم عند المسلمين، بسبب من منزلة الكتاب العزيز المحورية في هذه الحضارة العريقة.

وقد توافرت مادة هذه المصطلحية من مجموعة من المصادر، يمكن تصورها إجمالا في ما يلي:

أولا- القرآن الكريم؛ ذلك أنه بحكم ما أمر به من قراءته وتلاوته وترتيله استعمل عددا من الألفاظ التي صارت مصطلحات في جهاز العلم الاصطلاحي، فالقراءة والتلاوة والترتيل نماذج من هذه المصطلحات المركزية استعملت مشتقاتها بمعانيها العلمية أولا في الذكر الحكيم، يقول تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ

تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [سورة البقرة ٢/ ١٢١]، وما يلحق بهذا المصدر عظيم الموثوقية من كتب التفسير وكتب علوم القرآن.

ثانيا- السنة الشريفة؛ وذلك أنه بحكم كون السنة المشرفة بيانا للذكر الحكيم فإنها استعملت عددا أكبر من الألفاظ التي صارت جزءا أصيلا من مصطلحات علم القراءات القرآنية من مثل: الإقراء والاقتراء والتحسين والتبيين، وهي جميعا مصطلحات قرائية أقرت بها السنة عند التعامل مع كتاب الله عز وجل.

ثالثا- كتب علم القراءات؛ التي تعرض لمسائله وأصوله وفرش حروفه، وهي كثيرة جدا، ومتنوعة المناهج جدا، من مثل: كتاب السبعة، لابن مجاهد، وغيره

رابعا- كتب التجويد؛ بما هو جزء من علم القراءات يقصد إلى الإتيان بالقرآن بريئا من أي صور رديئة النطق، وهي كثيرة جدا ومتنوعة كذلك من مثل: جهد المقل لساجقلي زاده، وغيره.

خامسا- كتب الوقف والابتداء؛ وهي فرع من علم القراءات، وهي كثيرة جدا من مثل: القطع والائتناف للنحاس، وكتب الرسم وهجاء المصاحف ككتاب ابن نجاح، وغيره، وكتب طبقات القراء، ككتابي الذهبي وابن الجزري، وغيرهما.

سادسا- كتب اللغة؛ ولا سيما كتب الصوتيات وكتب النحو التراثية، التي انشغلت في جزء من بنائها وتكوينها المعرفي ببيان مخارج الأصوات وصفاتها، من مثل: كتاب سيبويه، وكتاب سر صناعة الإعراب لابن جني، وغيرهما.

سابعا- معاجم المصطلحات؛ التي جمعت مصطلحات العلوم المختلفة التي عرفتها الحضارة العربية الإسلامية، وهي كثيرة ومتنوعة الترتيب من مثل:مفاتيح العلوم للخوارزمي، والتعريفات للجرجاني، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي، وغيره.

ثامنا- معاجم مستقلة؛ استقلت بجمع مصطلحية هذا العلم قديما وحديثا، وهي مشغلة ما بقي من هذا المبحث.

(٣) معاجم مصطلحات علم القراءات القرآنية : مقال في الأدبيات والتصنيف.

وقد عرفت المصطلحية العربية عددا من معاجم مصطلحات علم القراءات القرآنية، يمكن تقسيمها ثلاثة أقسام:

أولا- معاجم جزئية جمعت عددا من مصطلحات هذا العلم، وهي معاجم مصطلحات التجويد، ويمثلها: التجريد لمعجم مصطلحات التجويد، للدكتور إبراهيم بن سعيد الدوسري [طبعة دار الحضارة، الرياض، سنة ١٤٢٩هـ].

ثانيا- محاولات معجمية تراثية يمكن اعتبارها بقدر من التوسع معاجم لمصطلحات علم القراءات القرآنية، ويمثلها:

- مرشد القارئ إلى تحقيق معالم المقارئ، لابن الطحان السحائي المتوفى سنة ٥٦١هـ [بتحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن، الشارقة، سنة ٢٠٠٧م].

- القواعد والإشارات في أصول القراءات، لابن أبي الرضا الحموي المتوفى سنة ٧٩١هـ [بتحقيق االدكتور عبد الكريم بن محمد الحسن بكار، دار القلم، دمشق، سنة ١٩٨٦م].

ثالثا- معاجم مصطلحات علم القراءات القرآنية في العصر الحديث، وهي أوسع هذه المصادر، وأكثرها تنظيما ووفاء بشروط الصناعة المعجمية مقارنة بما سبقها، ويمثلها:

- إسهام في وضع مصطلحات علم القراءات، للدكتور محمد المختار ولد أباه [مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ع ٨٥ ق، لسنة ١٤٢٠هـ= ١٩٩٩م].

- أشهر المصطلحات في فن الأداء وعلم القراءات، لأحمد محمود عبد السميع الحفيان [دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ٢٠٠٠م].

- معجم مصطلحات علم القراءات القرآنية وما يتعلق به، للدكتور عبد العلي المسئول [دار السلام، القاهرة، سنة ٢٠٠٧م/ والطبعة الثانية ٢٠١١م].

- مختصر العبارات لمعجم مصطلحات القراءات للدكتور إبراهيم بن سعيد الدوسري [دار الحضارة، الرياض، سنة ٢٠٠٨م].

وفحص منهجيات ترتيب المعاجم الحديثة في هذا الباب يكشف عن مجموعة مهمة من العلامات هي :

أولا - استعمال منهج الترتيب الألفبائي وفق شكل الكلمة النهائي، أي من دون تجريد وهو أمر مقصود، اتجهت له تطبيقات الصناعة المعجمية الحديثة تلبية للتيسير على المستعملين.

ثانيا- بيان المعاني اللغوية للألفاظ، ثم المعاني الدائرة في استعمال القراء، وهي المعاني الاصطلاحية.

ثالثا- محاولة الاستيعاب والشمول، وله وجهان:

١- الاجتهاد في جمع المصطلحات القرائية واستيعابها في هذه المعجمات، وإيراد ما يتعلق بها ويدور في فلكها من ألفاظ العلوم الأخرى المشتبكة معها.

٢- الاجتهاد في جمع دلالات المصطلح الواحد، عند تعدد معانيه، فمثلا يورد الدكتور المسئول [ص١٢٢ / ١٨٨] معنيين لمصطلح التحقيق عند القراء هما: إعطاء الحروف حقوقها، وتنزيلها مراتبها، وهو المعنى المقصود في باب مراتب القراءة، والمعنى الثاني: نطق الهمزة كاملة في صفاتها مقطوعًا بها النفس؛ وهي بهذا المعنى ضد التخفيف أو التسهيل.

رابعا- العناية ببيان مستوى الاستعمال؛ أي ذكر العبارات التي تكشف عن مواضع استعمال المصطلحات المختلفة في أبوابها المختلفة إعانة على إدراك معانيها منضبطة صحيحة.

خامسا- استعمال طرق شرح تستهدف بيان السمات الدلالية الفارقة سعيا إلى تحرير مفاهيم المصطلحات مع ضرب الأمثلة التوضيحية، ومن أجل ذلك انتشر فيها جميعا استعمال طريقين من طرق شرح المعنى هما:

أ- طريقة الشرح بالمحكم، وهي طريقة تكون بجمع صفات المصطلح المعرّف.

ب- طريقة الشرح بالهجين وهي جماع أمرين معا استجماع صفات المصطلح المعرّف مقرونا بأمثلة توضيحية في الوقت نفسه.

سادسا- العناية في أحيان ظاهرة ببعض المعلومات الموسوعية من مثل: أسماء بعض القراء المشهورين، وأسماء بعض الكتب المختصة في هذا الباب.

سابعا- العناية بضبط المصطلحات تيسيرا لتحصيل نطقها.

ثامنا- العناية بالتوثيق.

(٤) معاجم مصطلحات علم القراءات القرآنية في العصر الحديث: وظائفها وقيمتها الحضارية.

إن تأمل هذه المعجمات، وما تؤديه من أدوار ووظائف يكشف عن مجموعة من العلامات ترقى بقيمتها الحضارية، وفي ما يلي محاولة لرصد أهم هذه الوظائف الكاشفة عن قيمتها وأهميتها معا:

أولا- الوظيفة الاعتقادية، ذلك أن هذه الكتب بسعيها نحو ضبط كيفيات قراءة الذكر الحكيم تحقق أدوات تنزيه الله تعالى بتنزيه كتابه المنزل من تطرق الأخطاء إلى قراءته.

ثانيا- الوظيفة الدينية (العبادية)، ذلك أن الله تعالى أمر بتلاوة كتابه، وأمرت السنة وفصلت الأمر في تحبير قراءته، والاجتهاد في تحسينها، وهو ما لا يمكن تصوره من غير القيام بواجب هذا المقصد، وهو بعض ما تسهم به هذه المصطلحات عندما تحرر مفاهيم هذا العلم وتبينها.

ثالثا- الوظيفة المعرفية، ونعني بها تحصيل مفاهيم هذا العلم وضبطها وتحريرها، وتوثيقها، والكشف عن مذاهب القوم واتفاقاتهم واختلافاتهم في هذا الميدان. وقضية تحصيل المفاهيم التي يقوم بها ضبط الجهاز الاصطلاحي أمر مستقر، ذلك أن المصطلحات مفاتيح العلوم، تمهد الطريق لفهم مسائله.

رابعا- الوظيفة اللسانية، ذلك أن هذه المعجمات بما تجمعه في داخلها بحكم بنائها المعرفي ترشد إلى سمات الأصوات العربية، وكيفيات نطقها على الوجه الصحيح، والمذاهب المختلفة لنطق بعضها، وما يجوز وما لا يجوز، وما الأفصح؟ وما الفصيح؟ إلى غير ذلك مما تحصيله نافعا في خدمة المعرفة اللغوية، فضلا عما تقدمه لميدان اكتساب اللغة بتدريب الألسن على النطق الصحيح.

خامسا- الوظيفة التاريخية، ونعني بها الوقوف على تطور هذا الجهاز الاصطلاحي، ومراحل انضمام بعض المصطلحات إلى هذا العلم، والوقوف على حجم ما أنجزه العلماء في هذا الباب، وتطور التأليف فيه مع مرور الزمان.

سادسا- الوظيفة الأخلاقية، وذلك أن تأمل منجز علماء القراءات يوقفنا على تقدير ما قاموا به، مما يلزم معه تقدير مجهودهم، والوفاء له بنوع وفاء عملي إيجابي بتطويره، والبناء عليه.

سابعا- الوظيفة الحضارية، ونعني بها تأكيد أثر الكتاب العزيز في ترقية العلوم في الحضارة العربية والإنسانية بوجه عام بما أوجده من علوم، وتحريره للمصطلحات التي ظهرت وهدفها المباشر خدمة الكتاب الكريم من جوانبه المختلفة، نطقا وأداءً وكيفية، وهو ما انشغل به هذا النوع من المعجمات، إمعانا في أن الحكم المستقر بأن القرآن الكريم هو السبب المباشر الذي انتقل بالحياة العربية النقلة الجبارة غير المسبوقة في التاريخ يتأكد على الزمان.

وتكشف هذه الوظيفة أيضا أدلة متضافرة على قدرة العقل العربي المعاصر على استثمار منجز التطبيقات المعاصرة في مجالات مختلفة لتحقيق خدمات جليلة للعلوم الشرعية، فقد اتضح أن المعاجم المعاصرة في هذا الباب أفادت نوع إفادة من تطبيقات صناعة المعجم الحديث.

كما تكشف هذه الوظيفة أيضا عن قدرة اللسان العربي (ألفاظا / وتراكيب/ واختصارات) على استيعاب حقائق العلوم المختلفة والوفاء بواجبات العلوم المختلفة،

فقد رأينا كيف تنوعت أنماط المصطلحات القرائية، وأبدت اللغة مرونة واضحة في هذا المجال.

إن الكتاب العزيز سيظل نورا عامرا يزداد عطاؤه مع ازدياد خدمته، والعكوف عليها، وتطوير مسارات هذه الخدمة. إن الصوت النهائي الذي سيعلن عن نفسه هنا هو أن النور الذي يشع من الكتاب الكريم لا حدود له ولا لطاقاته الفريدة.

***